فلسفة اللون الاصفر

من مقال للسر هنلوك أليس

اللون الاحمر شأن عظيم في امور الامم العقلية على تعددتحلها وتفاوتها في درجة الحضارة والعمران . اما اللون الاصفر فليس كذلك بل ان تأثيرهُ في الامم يختلف جدًّا باختلاف الزمان والمكان ودرجات التمدن وفي الافراد باختلاف اطوار العمر . وليس بين الالوان لون مثلهُ يرفع بين الناس قدرهُ الى السمع الطباق وينزلهُ البعض الى ادنى دركات الامتهان

ويظهر من درس تاريخ اخلاق الشعوب المتوحشة انها تبتهج باللون الاصفر بوجه عام لا تفضل عليهِ سوى اللون الاحمر . ومنها من يساوي بينهما او يفضل الاصفر على الاحمر . فاهل بعض اقسام غينيا الجديدة مولعون باللون الاحمر ولكنهم يحبون اللون الاصفر كذلك وقد يفضلونهُ على الاحمر بدليل انهم يطعمون نوعاً من البطاطا ذي اللب الاحمر جذوراً صفراء ليعفرَّ ذنبهُ واهل جزائر الاصدقاء يُنزلون اللون الاصفر منزلة الاحمر او يعدونهُ ثانياً لهُ ومثل ذلك يقال في اهل اوربا القدماء فانهم كانوا يعتبرون الذهب بالاصفر والاحمر على السواء

هذا في الجماعات واما في الافراد فان صغار الاولاد (وان وجه الشبه بينهم وبين المتوحشين كثيرة) يحبون الاصفر مثل المتوحشين ويفضلونهُ عليهِ غالباً والسبب في ذلك كون الاصفر اشدَّ ظهوراً ولمعاناً من الاحمر على ما يرى البعض . وقد جرَّب بعضهم تأثير الالوان في الاولاد فوجد ان منهم من كان يفضل الاصفر بلا تردُّد وينتقي الاشياء الصفراء من بين اشياء ملونة بالوان اخرى وهو لا يزال طفلاً . وعرض آخر كرتين الواحدة حمراء والاخرى صفراء على طفل عمرهُ اربعة اشهر فكان يتناول الصفراء دون الحمراء كلما عرضا عليهِ . ولما كاد يبلغ الحول كان ينتقي الكرة الصفراء ست مرات في كل عشر مرات . ووجد آخر ان طفلهُ كان يتردَّد كثيراً في اختيار الاصفر ولكنهُ لم يكن يتردد في اختيار البرتقالي . وعرضت زهرتان الاولى حمراء والثانية صفراء على طفل عمرهُ سنة ثم عرضت عليهِ ثلاث ازهار حمراء وبيضاء وصفراء بالتتابع ثم اربع ازهار حمراء وبيضاء وبرتقالية وصفراء فاختار الصفراء في المرار الثلاث ولكنهُ توقف في المرة الثالثة قليلاً بين الصفراء والبرتقالية

ان تفضيل الافراد اللون الاصفر يقلُّ بتقدمهم في السن حتى ان البنات لا يبدين تفضيلهُ

على غيره بين الرابعة والسابعة من سنهنّ. وامتحن الاستاذ لوبسين الالماني تأثير الالوان في تلميذات مدرسة في كيل بالمانيا عمرهن بين الثامنة والرابعة عشرة وكان يعرض عليهن الالوان زوجين زوجين فلم يكنّ يفضلن البرتقالي على لون آخر وكنّ يفضلن الاصفر على الاخضر وعلى البنفسجي غالباً ولكنهن لم يفضلنهُ البتة على الاحمر ولا على الازرق . ووجد آخر انهُ كلما تقدّم الاولاد ذكوراً واناثاً في السن جعل الذكور يفضلون الالوان التي في جهة البنفسجي من الوان الطيف الشمسي والاناث يفضلن الالوان التي في جهة الاحمر منهُ

ووجد وسلر ان كبار التلامذة في المانيا ذكوراً واناثاً قلما يفضلون الاصفر على غيره فان ٢ في المائة من الذكور يفضلونهُ على غيره و٥ في المائة من الاناث. وان الرجال يكرهونهُ اكثر من سائر الالوان وان النساء يكرهن البرتقالي اكثر من غيره . وجرّب جاستروتأثير الالوان في ٤٥٠٠٠ رجل وامرأة في معرض شيكاغو فوجد انهم اقلّ استحساناً للاصفر والبرتقالي من سائر الالوان وان النساء اكثر استحساناً للاصفر من الرجال

هذا في الافراد والجماعات الصغيرة من الناس ولكن لا يصح اطلاقهُ على مجموع البشر عموماً فان في الارض امة عظيمة جدًّا تنزل اللون الاصفر اسمى منزلة من الاجلال والاكرام وهي الامة الصينية وكذلك سكان الهند وسيلان وشبه جزيرة ملقا بل اهل قارة آسيا كلها قديماً وحديثاً. فأهل الهند وسيلان يفضلون الازهار والملابس الصفراء على غيرها ويقدّسون المواد التي يستخرج منها الصباغ الاصفر ويعدون وجودها لازماً في بعض حفلاتهم الدينية مثل الكركم والزعفران . وكان الفرس وسكان اوربا في القرون الوسطى يعتقدون ان الزعفران يفعل فعل السحر فيضعونهُ في اكياس صغيرة يتخذونها عوذاً وتمائم ويستعملونهُ كثيراً في طعامهم. وكذلك البوذيون فانهم يقدسون اللون الاصفر وزهرتهم المقدسة صفراء وكذلك الاسرائيليون فقد شبهت العروس في نشيد الانشاد بالكركم. وعند الصينيين أن الصفرة لون حسن الحظ مثل الخضرة والحمرة . وأهالي ملقا يعتقدون ان البياض اقدس الالوان يستعملونه للصلاحة بين الارواح الشريرة وان الصفرة تتلوه في الطهارة والقداسة . وورد في تواريخهم ان احد سلاطينهم نهى العامة عن لبس الملابس الصفراء وجعل المناديل الصفراء وتعليق السجوف الصفراء في منازلهم لان اللون الاصفر اقدس من ان يدنسهُ العامة بأدرانهم وعليهِ اختصهُ سلاطينهم بأنفسهم منذ ذلك الحين

وكان اهل اوربا في القرون الوسطى يفضلون اللون الاصفر على غيره وان كانوا لم يقدسوهُ مثلما يقدسهُ اهل آسيا الآن. ففي بلاد اليونان ورومية كان اللون الاحمر اقدس الالوان والاصفر لون ملابس الاعراس للنساء والاولاد. ذكر بلينيوس أن اللونين الاحمر

والاصفر كانا اكثر الالوان شيوعاً في الصور القديمة. وقال امبدوكليس ان الالوان الاربعة الاصلية هي الابيض والاسود والاحمر والاصفر. واكثر هوميروس وشعراء الرومان من ذكر اللون الاصفر في قصائدهم

هذا من حيث تاريخ اللون الاصفر وتأثيره في طوائف البشر قديماً وحديثاً. وربما سائل يسأل وما معنى هذا التضاد بين اوربا الحديثة من جانب والامم القديمة وآسيا من الجانب الآخر. وما هو السبب في عدم ابتهاجنا بلون كان اهل العصور القديمة ولا يزال اهل قارة آسيا يجلون قدره لانه لون الشمس والذهب والحنطة والعسل والكهرباء مع انه اللون السائد في نور الشمس والانوار الاصطناعية التي نستضيء بها. لا يمكن ان يكون السبب في ذلك ارتقاء ذوقنا عن ذوق الاقدمين من حيث النظر الى الجليل والجمال فان ذلك مخالف للواقع بشهادة اعاظم المصورين. يحكى ان المصور رمبرنت الشهير كان وهو يزيد تهُ اتقاناً يزيد اعجاباً وتعلقاً باللون الاصفر حتى انه طلى صورهُ الاخيرة بطلاء ذهبي

ويؤخذ من الموازنة والاستدلال ان ظهور الديانة المسيحية كان السبب في ذلك الانقلاب وتفضيل الالوان القاتمة على الفاتحة وهذا ناشئ عن مقاومة الديانة المسيحية للوثنية ورفض المسيحيين لكل ما كان فيه رمز للفرح والكبرياء. وكان الاحمر والاصفر اللونين السائدين حينئذ وحب الاحمر مغروساً في الطبيعة البشرية الى حد ان الديانة المسيحية لم تستطع استئصاله من صدور اتباعها فكانت النتيجة ان دولة الاحمر سادت ودولة الاصفر دالت وبات الاصفر لون الحسد والضغينة. فصور يهوذا الاسخريوطي بملابس صفراء واكره اليهود في بعض البلاد على لبس الملابس الصفراء. وصبغت ابواب منازل الخائنين والمجرمين في فرنسا في القرن السادس عشر باللون الاصفر. وحكم ديوان التفتيش في اسبانيا على الهراطقة الذين ارتدوا الى الايمان ان يلبسوا اصفر تكفيراً عن ذنوبهم الاول وحمل شمعة صفراء

ومن اسباب مقت المسيحيين للون الاصفر علاقتهُ بالحب الدنس او الزنى. فقد كان لون الحب الطاهر اولاً فكان العذارى يلبسن اثواباً صفراء في اعراسهن وجاء في الاياذة وكتاب جياجوفندا المندي انهم كانوا يخرشون للمحبين فراشاً من الكركم (الزعفران). ثم انقلبت الحال في عهد اليونان والرومان فاتخذتهُ الخليلات والزانيات لوناً لملابسهن وصبغن به شعورهن وظلت الحال كذلك الى سنة او اكثر الى عصرنا الحاضر فصار الاصفر رمز الفحشاء في اوربا فلذلك كرههُ المسيحيون. ثم جعل الناس يعبّرون عن كرههم للون الاصفر بابعاده عن كل شيء والصاقه بكل قبيح فقالوا ان الاصفر لون صفراء المرارة والبرقان. وصار الاصفر لون الحسد والسوداء